(الشعر الفلسطيني في أدب النكبة
وما بعدها «بين الألم والأمل»)

(Palestinian Poetry in the Literature of of the Nakba and Beyond: Between Pain and Hope)

م.د. إخلاص خالد عبد الجلالي

الجامعة العراقية/كلية العلوم الإسلامية/ قسم اللغة العربية

Dr. Ikhlas Khaled Abdul- Jalali

University of Iraq / College of Islamic Sciences / Department of Arabic Language

E-Mail: ekhlas.k.abedalgalali@aliraqia.edu.iq

الملخص

يسعى هذا البحث إلى رصد جهود الأدباء الفلسطينيين، وهم يجدون أنفسهم أمام تحدٍّ مزدوج، فُرض عليهم الارتقاء إلى مستوى مأساة شعبهم، وتجسيد أوجاعه في نصوص أدبية راقية ومبتكرة. إذ كان عليهم أن يحولوا مشاهد القتل والمجازر والتهجير إلى أدب يحمل في طيّاته الجمال رغم فداحة الألم؛ لأن قضية الشعب الفلسطيني أصبحت قضية كل إنسان واع ولا يمكن غضّ النظر عن هؤلاء الناس لأن ظروفهم تجرح المشاعر.

وقد تابع البحث مراحل شعر النكبة ورصد تطوره، ولهذا كان علينا أن نوجز، وأن نكتفي عند كل مشهد بإيراد حفنة مختارة من الشعر، راجين أن يغني القليل عن الكثير.

الكلمات المفتاحية: (النكبة، المقاومة، شعر الألم، شعر الأمل).

Abstract:

This research seeks to monitor the efforts of Palestinian writers as they find themselves facing a dual challenge: rising to the level of their people's tragedy and embodying their pain in sophisticated and innovative literary texts. They had to transform scenes of killing, massacres, and displacement into literature that conveyed beauty despite the enormity of the pain. This is because the Palestinian people's cause has become the cause of every conscious person, and these people cannot be ignored because their circumstances hurt feelings.

The research traced the stages of Nakba poetry and monitored its development. Therefore, we had to be brief, and limit ourselves to presenting a select handful of poems at each scene, hoping that a little will suffice.

Keywords: (Nakba, resistance, poetry of pain, poetry of hope).

Abstract

This research seeks to monitor the efforts of Palestinian writers as they find themselves facing a dual challenge: rising to the level of their people's tragedy and embodying their pain in sophisticated and innovative literary texts. They had to transform scenes of killing, massacres, and displacement into literature that conveyed beauty despite the enormity of the pain. This is because the Palestinian people's cause has become the cause of every conscious person, and these people cannot be ignored because their circumstances hurt feelings.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرفِ الخلق أجمعين أبي القاسم محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد.

فإن شعر النكبة يمثّل مجموعةً واسعةً من القصائد التي أفرزتها النكبة، فقد عبّر عن مشاعر العديد من الشعراء. ويصعب جمع هذا الشعر أو حصره، إذ يتناثر في دواوين الشعراء الذين عايشوا النكبة، كما ينتشر في الكتب والمجلات والصحف. وقد هدفت هذه الدراسة إلى منح القارئ فرصة للتفاعل مع شعر النكبة، وبعد النكبة، وشعر المقاومة، وآمل أن تسهم هذه المختارات في توضيح موقف الأدباء الفلسطينيين، وأن تسلّط الضوء على الأثر العميق الذي تركته نكبة فلسطين في الشعر. وحسب دراستنا أن نذكر شعر الألم والأمل في الشعر العربي الفلسطيني المعاصر.

وقد توزعت مادة البحث على تمهيد، ومبحثين، وخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

منهج البحث: سَلك المنهج الوصفيّ، وبعض أدواته، كالوصف والتَّحليل والمُلاحظة.

المبحث الأول
(النكبة وتجلياتها في الشعر الفلسطيني من الألم إلى المقاومة)

اولاً: تعريف النكبة وأبعادها التاريخية

إن معاجم اللغة العربية ومنها المعجم الوسيط عرّف لفظة النكبة أو((النَّكْبُ: المُصيبة. نُكُوبٌ،(النَّكَبُ) : شبه ميل في الشيء. و- داء يصيب مناكب البعير وغيره يمشى منه مُنْحَرفاً، و(النَّكْبَةُ): المُصِيبَة، نَكَبَات، (النُّكْبَةُ): الصَّبْرَة من الطَّعَام،(اليَنْكُوبُ) من الطرق: المُنْحَرف)) [١]، والنكبة من نكب، النكباء، وهي المصيبة إذا كانت قوية وشاملة، وهي المصيبة من مصائب الدهر[٢]، إن كل ما تقدم يشي بسر نجاح الكلمة في اختزال الحادثة الفلسطينية، فـ(النكبة) بالمعنى اللغويّ– فعلٌ من افعال الطبيعة العاتية وغير المتوقعة، أما معنى النكبة اصطلاحاً، ومن منظور المثقف الفلسطيني، تمثل:نكبة فلسطين هي نكبة بكل ما في هذه الكلمة من معنى، ومحنة من أشد ما ابتلي به العرب في تاريخهم الطويل ، على ما فيه من محن وماسي، ومعنى ذلك اقتلاع شعب وطرده من ارضه بالقوة، واحلال شعب مكانه، ونُكب العدو الفلسطيني في تاريخه، وتعرض كيانه في فلسطين في السنوات الاخيرة للانهيار والزوال . ولكنهم ظلوا صابرين على المكاره ، متحملين للشدائد ، واضعين أعينهم على الهدف المنصوب ، إلى أن بلغوا ما بلغوه اليوم من قوة وبأس[٣].

إن محنة فلسطين ليست ((كارثة محلية ضيقة ، بل هي نكبة قومية جامعة ، أيقظت بأهوالها ومآسيها أمة العرب، في كل قطر من أقطارهم ، وأظهرتهم على أن اغتصاب هذا الجزء المقدس من كيانهم الأرضي الموروث مقدمة تكشف عن أطماع للصهيونية والاستعمار في وطنهم لانهاية لها))[٤]، وتشرد شعب فلسطين ورضى العالم ((بالظلامة عله يلاشي عقدة الاثم ويسكت انات الضمير بعد أن فعل في اليهود ما فعل وأساء معاملتهم وأباد منهم مجموعات وأقام لهم دولة على

(١) المعجم الوسيط: ٩٥٠.
(٢) ينظر: الملحق ب لسان العرب: مادة(نكبة):١٨/١٧٦.
(٣) ينظر: معنى النكبة: ٧-١٣، معنى النكبة مجدداً:٧-٨.
(٤) في شعر النكبة:٧٩.

اشلاء الكيان الفلسطيني))[١]، يرجع سبب تسمية أحداث عام ١٩٤٨م بين الصهاينة والعرب بالنكبة... إذ نكب العرب بصراعهم مع الصهاينة بمصائب كثيرة قتلاً وقهراً، نفياً، وتشريداً، لجوءاً، وصبراً، خياماً، وبؤساً، ومن ثم كثر التناوح والتباكي والعويل لخسارتهم... فضلاً عن أن مفهوم النكبة لم ينحصر بالهزيمة العسكرية لذلك العام، وإنما اتخذ أبعاداً عامة في الاقتصاد والاجتماع والتعليم... وصارت جملة نحن منكوبون بكذا وكذا–أي مبتلون ومصابون– مشهورة على كل لسان... لهذا فالعرب منكوبون بالصهاينة ومنكوبون بضياع الهوية، والخصوصية الثقافية... فالنكبات غدت معضلة كبرى تقلب كل شيء رأساً على عقب...

اذن مفهوم النكبة أكثر اتساعاً في الدلالة، وأعلى مقاماً في التأثير من النكسة؛ فإذا كانت النكبة خيبة ومرارة وهلاكاً في مجالات كثيرة فإن النكسة تنحصر في مجالات دون مجالات علماً أنها– أيضاً– ذل واستهزاء وضعف للأفراد والدول، وفي اللغة نكس الإنسان رأسه إذا طأطأه من الذل والهوان[٢].

ثانياً: تأثير النكبة على المشهد الشعري الفلسطيني

مرَّ الشعر الفلسطيني بثلاث مراحل أساسية؛ بدأت أولها عقب نكبة ١٩٤٨، حيث ركَّزت على القضايا الوطنية الفلسطينية، والتشبث بالهوية، والتعبير عن معاناة التهجير ودمار الوطن. أما المرحلة الثانية، فقد اتسمت بكونها «كتابة المنفى»، إذ توسعت في معانيها وأصبحت أكثر عمقًا وتشابكًا، متأثرةً بالتطورات الأدبية والسياسية في العالم العربي والغربي. أما المرحلة الثالثة، والتي ما زالت مستمرة حتى اليوم، فقد أثرت المشهد الأدبي الفلسطيني والعربي على حد سواء، إذ تعكس واقعًا جديدًا يتسم بالتدهور المستمر للوضع الفلسطيني، وتطرح تساؤلات معقدة حول السلطة الفلسطينية والعلاقة مع الاحتلال، مما يجعلها تجسد حالة القلق الوجودي التي يعيشها الوعي الجمعي الفلسطيني[٣].

إن نكبة فلسطين أعنف تجربة قاستها الأمة العربية، وأعظم تجربة يعانيها الأدب العربي المعاصر؛ لأن النكبة قدمت لكل كاتب و شاعر، من مآسيها وويلاتها وأهوالها، مادة للقول لا تنتهي، وكيف تنتهي ومليون من المتشردين اللاجئين لا يزالون الى اليوم غرباء بائسين، تروى وجوههم الشاحبة

(١) بين النكبة والمأساة، لبناني يتكلم:٥٨.

(٢) ملامح في الأدب المقاوم (فلسطين أنموذجاً) دراسة:١٨-١٩.

(٣) ينظر:مأساة النكبة التي انتجت ادبا مرموقا:٩.

ونظراتهم اليابسة، قصة النكبة وأحداثها ، وتشكو أجسامهم المعلولة برد الكهوف والخيام البالية[١].

كانت فلسطين منذ وعد بلفور، تسير نحو الهاوية المرعبة سيراً حثيثاً أعمى! غير أن صوت الشعر ((كان يدوي في أرجاء العالم العربي كله ، يوقظ النائمين، ويحذر الغافلين ، وينذر بالخطر القريب الداهم ، وكان أقوى الأصوات وأعمقها ينبعث من قلب شاعر فلسطيني كبير ، أدرك بوعيه و بصيرته أن ليل المحنة قريب ، ورأى قومه لاهين غافلين ، فصرخ في النائمين ، يهز ضمائرهم، ويقوي عزائمهم، ويصور لهم المستقبل الأسود الرهيب))[٢]، وما من شاعر في العالم العربي كله لم تدفعه ربة شعره الى ((بكاء الكارثة العربية في فلسطين ، فدلل الشعر بذلك على أن النكبة الفلسطينية ليست اقليمية محدودة ضيقة، بل هي كارثة قومية هزت الضمير العربي في كل مكان من أرض العرب، وهاجت وجدانه الشاعر، فانطلق الغناء من كل فم))[٣]، لكن النكبة هي دون ريب ((نعمة خالصة على الأدب العربي المعاصر، والشعر منه بخاصة ، فقد قدمت له غذاء دسماً ومادة لا تنفد، ودفعته في طريق التطور والتجديد والحياة!))[٤].

ثالثاً: تجليات النكبة في الشعر الفلسطيني بين الألم (شعر النكبة)، والأمل(شعر المقاومة)

إن للأدب دوراً رائداً في يقظة الناس ونهوضهم فكان الشعر كمناد ينادي ما يحدث في المجتمعات الإنسانية لاسيما في فلسطين التي هي محط الأنظار. حتى عاشت أكثر من ستين عاماً تحت الضغط والقتل والألم. وهذه الزوبعة التي لا تنتهى حتى جاء أدب المقاومة وصرخ بهذه الآلام وحرض الناس ليكونوا إلى جانبهم.

وهناك عدد كبير من الأدباء نددوا بجرائم المحتلين وكتبوا عن الحنين إلى الوطن وتمجيد الشهيد والأمل بالمستقبل وتحريض الناس على صراع القاتلين وشعر الألم تمثل بشعر النكبة ويسمى بـ(أدب النكبة) وهو الأدب الذي يضم ع على المؤلفات التي تتحدث عن الظلم، وكان موضوعها يدمي ((القلب ويبكي العين حقاً عندما يقف أمام خيام اللاجئين، ليقص قصة العربي التائه ! لقد انتهى دور اليهودي التائه منذ أصبح له في اسرائيل وطن قومي يحميه ، وبيت يظله ويؤويه ، وأرض تطعمه من خيراتها وتغنيه، وهام العربي على وجهه، بلا وطن ولا بيت ولا أرض

(١) ينظر: في شعر النكبة: ٤٠.
(٢) في شعر النكبة: ١٨.
(٣) في شعر النكبة: ٤١.
(٤) في شعر النكبة: ٩٤.

، يلوب في الدروب ، حافياً عارياً جائعاً ، ذليل الصوت كسير النفس والقلب))[١]، اما أدب المقاومة الذي تمثل بشعر الأمل، فيقصد به الأدب الذي يطلق على((مجموعة من المؤلفات التي تتحدث عن بشاعة وكوارث الظلم الداخلي أو العدوان الخارجي في جميع المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية بلغة أدبية، وقد كتب بعض هذه الأعمال الكارثة قبل حدوثها، وبعضها أثناء الحرب أو بعد مرور فترة من الزمن))[٢]، وأدب المقاومة من الآداب الإنسانية التي تجدها في كل ((أمه نتيجة وقوعها تحت ظلم طويل خانق دفع بمشاعرها وأحاسيسها لرفض هذا الظلم والتمرد عليه والانقلاب على مفاهيم الخضوع له والتعامل معه بوصفه أمراً واقعاً وبالتالي فإن الأدب الإنساني يلتزم عادة بقضايا التحرر))[٣]، ويُستخدم مصطلح (أدب المقاومة) لوصف الإنتاج الأدبي الذي نشأ في فلسطين المحتلة بعد نكبة عام ١٩٤٨م، وخصوصًا الشعر الذي كتبه شعراء مثل محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد. ويهدف هذا الأدب إلى التعبير عن الكفاح ضد الاحتلال، متجاوزًا مجرد تسجيل المآسي، ليعبر عن الإرادة والتحدي والحرية.

في المقابل، يُشير مصطلح «أدب النكبة» إلى الأدب الذي يركز على توثيق الفاجعة والمأساة التي حلت بالفرد والجماعة بعد نكبة عام ١٩٤٨م. ورغم تشابهه مع أدب المقاومة من حيث الموضوع، إلا أنه يختلف عنه في شموليته ودلالاته؛ حيث يُعنى برصد الألم والمعاناة والانفعالات الناجمة عن الكارثة، دون التركيز على الفعل المقاوم[٤].

(١) في شعر النكبة:٤٧.

(٢) أدب المقاومة:٩٠.

(٣) أدب المقاومة من تفاؤل البدايات إلى خيبة النهايات:٩.

(٤) ينظر: ثقافة المقاومة في الآداب والفنون:٢/ ٦٤.

المبحث الأول
شعر الألم (أدب النكبة)

أدرك شعراء الأراضي المحتلة، حجم المعاناة التي تحيط بأوطانهم وشعوبهم، ووعوا أن زمانهم مليء بالعنف والقهر. انعكس ذلك على بنية القصيدة العربية المعاصرة، التي اكتست بطابع المأساة وربما الفجيعة، مجسدةً واقع الظلم والفقر والحزن. ومع ذلك، حملت هذه القصائد لواء الإبداع والقضية، لتكشف للقارئ عن قيمتها الجمالية في بعدها الإنساني. فمن ذلك قصيدة عبد الكريم الكرمي[١] التي عبرت عن معاناة النازحين الذين أجبروا على ترك أوطانهم بسبب الحروب والثورات، وتسخر من الادعاءات الزائفة بالمرؤة والعروبة، إذ قال في مطلع قصيدته[٢]:

لُغَةُ الدَّمْعِ أَمْ بَيَانُ الجِرَاحِ
وَصَدَى اليُتْمِ أَمْ أَنِينُ الأَضَاحِي
يَا فِلَسْطِينُ... أَيْنَ تُرْبَتُكِ العَذْرَاءُ
تَفتَضُّهَا يَدُ المُجْتَاحِ

وهذه الأبيات تصور حزن وألم ومأساة فلسطين بين البكاء والجراح، واليُتم والتضحيات، ثم تسأل بحسرة عن أرضها الطاهرة التي انتهكها الاحتلال. إنها صرخة ألم، لكنها تحمل في طياتها دعوة للنهوض واستعادة الكرامة.

ويختم قصيدته بهذه الأبيات، التي يصور بها حزن النازح عن بلادهِ[٣].

أَيُّهَا النَّازِحُونَ!..مَاذَا لَقِيتُمْ غَيْرَ دُنْيَا الآلَامِ وَالأَتْرَاحِ

---

(١) عبد الكريم الكرمي أبو سلمى، ولد في مدينة طولكرم الرابضة في السهل الفلسطيني، عام ١٩٠٩م، كان من أسرة علم وأدب، بعد أن احرز شهادة البكلوريا السورية عام ١٩٢٧م، قصد بيت المقدس وعين معلماً في المدرسة العمرية، نظم قصيدة نشرتها مجلة الرسالة المصرية بعنوان (جبل المكبر) هاجم فيها السلطات البريطانية في فلسطين لعزمها على انشاء قصر للمندوب البريطاني، فاقيل من عمله الرسمي. ويعد من شعراء فلسطين المشهورين الذين سار شعرهم في الاقطار العربية وتناول شعره الاغراض الوطنية والسياسية. ينظر: عبد الكريم الكرمي أبو سلمى،٦-١١.

(٢) المشرد: ٢١.

(٣) المشرد: ٢٣.

وَحَمَلْتُمْ ذُلَّ السُّؤَالِ ثَقِيلًا بَعْدَ تَارِيخِ ثَوْرَةٍ وَكَفَاحِ

قُلْ لِمَنْ يَدَّعِي المُرُوءَةَ: أَقْصِرْ وَامْسَحِ اليَوْمَ دَمْعَةَ التِّمْسَاحِ

قُلْ لِمَنْ يَدَّعِي العُرُوبَةَ:مَاكُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا يَدَ السَّفَّاحِ

أَسَدٌ خَادِرٌ عَلَيْهَا وَلَا يَسْمَعُ مِنْكَ الأَعْدَاءُ غَيْرَ نُبَاحِ

إن هذه القصيدة تفضح واقع النازحين وما يعانونه من ألم وإذلال، وتنتقد بشدة النفاق السياسي والادعاءات الزائفة بالمرؤة والعروبة، مظهرة التخاذل العربي تجاه القضايا العادلة. والابتعاد عن الوطن ((يؤزم الشاعر ويجسد له غربته الروحية، ولذا فإن أكثر القصائد تعبيرا عن التعلق بالأرض هي التي تنظم في حالات الاغتراب والنفي))[١].

من الابيات التي تدعو فلسطين للنهوض من تحت الظلم واستعادة عزتها بالثورة والمقاومة قصيدة لعبد الكريم الكرمي[٢]:

يا فِلَسْطِينُ وَالزَّمَانُ يُنَادِي
امْسَحِي بِاللَّظَى سُطُورَ العَارِ
واهْتِفِي بِالمَعَارِكِ الحُمْرِ
تَنْقَضُّ عَلَى كُلِّ ظَالِمٍ جَبَّارِ

في هذه الأبيات يؤكد الشاعر أن تحريرها لن يتحقق إلا بالقوة والإصرار ضد الظلم والطغيان، ويخاطب فلسطين نداءً حارًّا، مشيرًا إلى أن الزمن نفسه يناديها، وكأن مرور الأيام والسنين يطلب منها التحرك والنهوض لاستعادة مجدها وكرامتها. وتتحدث الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان[٣] عن وطنها بقصيدة تقول فيها[٤]:

إِلَى وَطَنٍ !!
حَقِيقَةٌ فِيهَا نُغَالِطُ النُّفُوسَ

(١) الأرض في شعر المقاومة الفلسطينية:٢٣.

(٢) المشرد:٤٠.

(٣) فدوى طوقان: من أهم شاعرات فلسطين في القرن العشرين من مدينة نابلس، وهي من عائلة فلسطينية معروفة، ولقبت بشاعرة فلسطين، ولدت عام ١٩١٧م، وفاها الاجل سنة ٢٠٠٣م، ينظر: الاعمال الشعرية الكاملة، فدوى طوقان:٧.

(٤) الاعمال الشعرية الكاملة، فدوى طوقان:٣١٣_٣١٤.

نَدَّعِي
أَنَا كَبَاقِي الْآخَرِينَ
قَوْمٌ لَنَا وَطَنٌ ....
هَيْهَاتَ ! . كَيْفَ تَعَلَّمْتَ ؟
هُنَا الضَّبَابُ وَالدُّخَانُ فِي بِلَادِكُمْ
يُلْفِلِفُ الْأَشْيَاءَ . . يَطْمِسُ الضِّيَاءَ . .
فَلَا تَرَى الْعُيُونَ غَيْرَ مَا
يُرَادُ لِلْعُيُونِ أَنْ تَرَاهُ ...

فهذه الأبيات تعبر عن خيبة الأمل والحيرة التي يشعر بها الفلسطينيون في ظل الاحتلال. وتشير الشاعرة إلى أن مفهوم الوطن أصبح مشوشًا، ويعيشه الناس في وهم ويغالطون أنفسهم بأن لهم وطنًا. كما تصف الوضع في الوطن بالضبابية والظلام، بسبب تزييف الحقيقة ويُمنع الناس من رؤية الواقع كما هو.

وفي قصيدة (مُسَافِرٌ عَرَبِيٌّ فِي مَحَطَّاتِ الفَضَاءِ) يصور محمد الماغوط[1]، معاناة شعبه الفلسطيني بقوله[2]:

أَيُّهَا الْعُلَمَاءُ وَالفَنِّيُّونَ
أَعْطُونِي بَطَاقَةَ سَفَرٍ إِلَى السَّمَاءِ
فَأَنَا مُوفَدٌ مِنْ قِبَلِ بِلَادِي الحَزِينَةِ
بِاسْمِ أَرَامِلِهَا وَشُيُوخِهَا وَأَطْفَالِهَا
لِكَي تُعْطُونِي بَطَاقَةً مَجَّانِيَّةً إِلَى السَّمَاءِ
فِي رَاحَتِي بَدَلَ النُّقُودِ ... دُمُوعٌ
لَا مَكَانَ لِي ؟؟
ضَعُونِي فِي مُؤَخِّرَةِ الْعَرَبَةِ
عَلَى ظَهْرِهَا
فَأَنَا قَرْوِيٌّ وَمُعْتَادٌ عَلَى ذَٰلِكَ.

(١) محمد الماغوط: شاعر سوري كبير يعد من ابرز شعراء قصيدة النثر في الوطن العربي، ولد في مدينة سلمية عام١٩٣٤م، وتوفى في دمشق عام٢٠٠٦م،ينظر: الفرح ليس مهنتي:٧-٨.

(٢) الفرح ليس مهنتي:٥٩.

لَنْ أُؤْذِي نَجْمَةً
وَلَنْ أُسِيءَ إِلَى سَحَابَةٍ
كُلُّ مَا أُرِيدُ هُوَ الوُصُولُ
بِأَقْصَى سُرْعَةٍ إِلَى السَّمَاءِ
الأَضْعُ السَّوْطَ فِي قَبْضَةِ اللَّهِ
لَعَلَّهُ يُحَرِّضُنَا عَلَى الثَّوْرَةِ..

الأبيات تعبر عن معاناة الشاعر في وطنه المكلوم، حيث يناشد العلماء والفنيين لمنحه فرصة للسفر إلى السماء كملاذ من الواقع المرير. يمثل الشاعر شعبه المتألم، خاصة الأرامل والشيوخ والأطفال.يعبر عن رغبته في الهروب إلى السماء بعيدًا عن الظلم، ويأمل أن تحفز معاناته الثورة والتغيير.

أما الشاعر سميح القاسم(١)، فيقول في قصيدته التي صورت القتل وبشاعته وحزنه بسبب القتل وسفك الدماء(٢):

دوري مع الأعصار! يا قُطعانُ ضَيَّعَكَ الرُّعاةُ
وابكي ربيعاً مات... مات
من يوم شَاءَ اللَّهُ أَن تَهْوِي يَدَا قَابِينَ
قاتلتين، عائصتين في الدم، في الحياة....
قابين يا قابين! أين مضت بهابيل خطاه؟!
إذهَبْ يُرافقك الشقاء... جَزَاءً فِعلَتِكَ الحَرام ! «

فقد وردت الفاظ الحزن والألم وكررها في القصيدة وتمثلت بـ(ابكي، مات... مات)، واستخدم سميح لفظة «قابين»- واسم قابيل في العهد القديم – رمز للعدو المحتل الذي يتسم بالضراوة والأنانية، والذي يقتل الشعب الفلسطيني إشباعاً لشهوته للقتل.

واتخذ الشاعر سميح القاسم من قصة أيوب إن النبي أيوب(ع)، وهو نبي من أنبياء إسرائيل، رمزاً للصبر والتضحية في الكتب السماوية، ودليلاً على معاناة الشعب الفلسطيني وتحملهم العذاب

(١) سميح القاسم: سميح محمد القاسم محمد الحسين، فلسطيني يحمل الجنسية الاسرائيلية، ولد عام ١٩٣٩م، غيب الموت الشاعر سوم الثلاثاء٢٠١٤م، عن عمر يناهز٧٥ عاماً بعد صراع مرير طيلة ثلاث سنوات مع سرطان الكبد، ينظر: ديوان سميح القاسم:٥-٢٠.

(٢) ديوان سميح القاسم:٣١٢.

والألم في السطور الأخيرة لقصيدته (مفكرة أيوب)، يقول[١]:

كل الأخبارِ تَقُولُ
أنا ما خاصمتُ الله
فلماذا أدَّبني بالوجع؟
حسناً ... فَاسْمَعْني أنفخ في الصور
يا لعنةَ أيوب ... ارتفعي
يا لعنة أيوب... ثوري
وَاسْمَعْنِي أَصْرَخ، يَا أَيُّوبُ..
لا تخضع للوَجع...
لا تَجُعِ..

فالشاعر يشكو إلى الله المحنة التي ألمت بالفلسطينيين، لأنه ليس بإمكانهم أن يتحملوا مرارة الصبر. ينكر الشاعر ما أصيب به لأنه لا يجد سبباً له، حيث إنه ما خاصم الله فلا داعي لابتلائه بالوجع.

أما محمود درويش[٢] فيعد من أبرز الشعراء الذين التزموا في شعرهم بقضية الإنسان والوطن، ومحاربة الظلم والعبودية، محاولين تبديد غيوم الحزن والألم التي خيمت على وطنهم المسلوب، وقد تجلى في شعره لحنٌ يفيض بالحزن والشجن، يعكس معاناة شعبه تحت وطأة الاحتلال، إذ يقول[٣]:

الأَلَم
هُوَ: أَن لا تُعَلِّق سيدة البيت حَبْلَ الغسيل
صباحاً، وأن تكتفي بنظافة هذا العلم

عرف الشاعر الألم بطريقته القصصية التي تتضمن الحزن العميق والفقد بأسلوب بسيط لكنه

(١) ديوان سميح القاسم:١٨٦-١٨٩.

(٢) محمود درويش: يُعَدُّ محمود درويش أحد أبرز الشعراء العرب في العصر الحديث، وهو شاعر فلسطيني استطاع ان يجسد من خلال قصائده معاناة الشعب الفلسطيني وتطلعاته نحو الحرية والاستقلال، ولد عام١٩٤١م، في قرية البروة في الجليل بفلسطين، ونزح مع عائلته إلى لبنان في نكبة ١٩٤٨م، وعاد إلى فلسطين متخفياً ليجد قريته قد دمرت، توفى في آب ٢٠٠٨م، ينظر: محمود درويش حياته وأشعاره:١-٤.

(٣) ورد أكثر مختارات شعرية ونثرية: ١٠١.

مؤلم، بتصويره الألم من خلال مشهد يومي بسيط: عادة سيدة البيت(المنزل) تعلق الغسيل في الصباح. ويشير إلى غياب هذه العادة، مما يوحي بأن هناك فراغًا أو غيابًا كبيرًا، سببه الفقد والتغير القاسٍ في الحياة.

ففي قوله[١]: (كفر قاسم)

انني عدت من الموت لأحيا!
لأغنى فدعيني استعر صوتي من جرح توهج
وأعينيني على الحقد الذي يزرع قلبي عوسج[٢]
انني مندوب جرح
لا يساوم علمتني ضربة الجلاد
أن أمشى على جرحى
وأمشى ثم أمشى ... وأقاوم !

من بين أجساد الشهداء هناك صوت يرفعه الشاعر من بين أنقاض مذبحة (كفر قاسم)، انه صوت أرواح الشهداء الفقراء الذين ماتوا في تلك الليلة الحزينة دون أن يعلموا سببا لموتهم .. فهذه الأرواح كان لها همسها وغناؤها الباقي الذي لا يذوب أبدا أمام أصوات مليئة بالضجيج والعنف.

وفي قصيدة أخرى يعبر عن حزنه الذي حمله اعوام بقوله[٣]:

إنا حملنا الحزن أعواما وما طلع الصباح
والحزن نار تخمد الأيام شهوتها
وتوقظها الرياح
والريح عندك كيف تلجمها ؟
ومالك من سلاح
إلا لقاء الريح والنيران في وطن مباح

تعكس هذه الأبيات مشاعر الحزن واليأس العميق التي تسيطر على الشاعر، مجسدةً معاناة ممتدة بلا أفق للخلاص. يشبّه الحزن بالنار التي تستهلك الرغبة في الحياة؛ لكنها لا تنطفئ تمامًا، إذ تعيد إحياءها المآسي والظروف القاسية، كما توقظ الرياح الجمر الكامن. ويوجه خطابه

(١) شاعر الأرض المحتلة:٥١.
(٢) العوسج هو الشوك
(٣) الجسد في شعر محمود درويش الأيروس والتاناتوس:١٠٩.

إلى شعبه، متسائلًا كيف يمكن التصدي للاحتلال في ظل انعدام وسائل الدفاع، سرعان ما يجد الإجابة فالسبيل الوحيد للمواجهة هو الثورة، في وطن مستباح لكل من يسعى إلى اغتصابه وانتهاكه.

وفي احدى الوقائع توجه الشباب العربي في الأرض المحتلة إلى كفر قاسم للاحتفال بذكرى المجزرة الدامية التي وقعت هناك في أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٥٦م وراح ضحيتها أكثر من خمسين امرأة وطفل؛ إلا إن الحاكم العسكري منع القادمين من دخول القرية وإقامة المأتم فتجمع القادمون خارج الأسلاك المضروبة حول القرية(١)، حيث ارتجل الشاعر سالم جبران(٢)، فيهم هذه القصيدة(٣):

كان ليل النكبة الأسود، لا إشعاع فيه
غير إشعاع القنابل.

وهذا يدل على حزن الشاعر وشعبه المنكوب في ذلك الوقت. ويؤكد سالم جبران على التزامه بقضية وطنه المحتل، مكرسًا شعره للدفاع عنها ويتحدى القمع قائلًا(٤):

يَا وَطَنِي،
إِنْ سَجَنُوا لِي خُطْوَتِي
وَغَيَّبُوا عَنِّي طُلُوعَ الْفَجْرِ فِي الْجَلِيلِ .....
فَلَنْ تُشَلَّ خُطْوَتِي.
وَسَوْفَ يَعْلُوَ الصَّوْتُ

في هذه الابيات يرفض الشاعر الاستسلام، رغم كل الممارسات القمعية والتهديدات، مؤكدًا أن حركته لن تُشل، وصوته سيظل مرتفعًا بالغناء، متحديًا كل القيود.

(١) أدب المقاومة في فلسطين المحتلة:١٩٤٨-١٩٦٦: ١٤٦.
(٢) سالم جبران: سالم يوسف جبران، اتخذ من الشعر منبرا افرغ فيه مشاعره المتأججه، ولد عام ١٩٤١م، في قرية البقيعة في فلسطين، توفي في الناصرة ٢٠١٢م. ينظر: كلمات من القلب،٢.
(٣) كلمات من القلب:٥، وينظر: أدب المقاومة في فلسطين المحتلة ١٩٤٨-١٩٦٦م:١٥٩.
(٤) قصائد ليست محددة الإقامة ١٩.

وصور البرغوثي[١]، طائر الحمام، رمز البراءة والطفولة، محلقًا في سماء القدس رغم تتابع النكبات والمصائب التي أصابت أهلها. لم يستخدم الشاعر تعبير «رمز السلام»، لأن الاحتلال الإسرائيلي قد دمر مفهوم السلام في أرضه، إذ يقول[٢].

في القُدسِ، رغمَ تتابُعِ النَّكَبَاتِ، رِيحُ بَرَاءَةٍ في الجَوِّ، رِيحُ طُفُولَةٍ،
فَتَرَى الحَمَامَ يَطِيرُ، يُعلِنُ دَوْلَةً في الرِّيحِ بَيْنَ رَصَاصَتَيْنِ.

صور الشاعر في هذه الأبيات الحمام الطائر وهو يحاول في براءته، إقامة دولة في الجو، بعيدًا عن القمع والاحتلال، لكن حتى هذا الحلم لا يسمح له بالتحقق، إذ تحاصره الرصاصات من كل جانب. وهنا يبرز تساؤل: هل الرصاصتان تحيطان بالحمام نفسه أم بالدولة التي يحاول أن يؤسسها؟ ويصرح الشاعر مجرد التفكير في إقامة دولة، ولو في الهواء، يواجه بالقمع والحصار؟

يعكس هذا المشهد مدى إحكام الاحتلال حصاره على الفلسطينيين، ليس فقط في أرضهم وسلوكهم، بل حتى في أفكارهم وآمالهم، إذ لا يسمح لهم حتى بحلم دولة تحلق فوق الريح.

(١) البرغوثي: تميم مريد البرغوثي، شاعر فلسطيني من قرية دير غسانة، من أسرة تهتم بالأدب العربي، وهو ابن الشاعر الفلسطيني مريد البرغوثي ولد عام ١٩٧٧م، له دواوين شعرية منها(ميجنا، والمنظر، وقالو لي بتحب مصر قلت مش عارف، ومقام عراق، وفي القدس، ويا مصر هانت وبانت)، ينظر: ظاهرة اللون في شعر تميم البرغوثي: ٤٩٠.

(٢) في القدس،١١.

المبحث الثاني
شعر الأمل (شعر المقاومة)

من يتأمل أدب المقاومة عبر مختلف الشعوب، فسيجد أنها تمكنت من التحرر من الاحتلال والتغلب على النكبات، مستعيدةً كرامتها بعد سنوات من القهر والاستغلال. الا أن فلسطين، منذ عام ١٩٤٧م وحتى يومنا هذا، لا تزال تناضل من أجل التحرر من الاحتلال الصهيوني. ونتيجة لذلك، أصبحت المقاومة محورًا أساسيًا في الشعر الفلسطيني، حيث تطورت لتشكل موضوعًا مستقلًا داخل المقطوعات الشعرية، مما أسهم في ظهور أنماط أدبية مستحدثة مثل أدب الرحلة والنزوح، وأدب اللجوء. وتدور معظم القصائد حول معاني التضحية، البطولة، الشهادة، والأمل والتفاؤل والسعي نحو التحرير.

ومن أبرز مظاهر التفاؤل في شعر بعد النكبة (شعر المقاومة) عودة الثقة بالنفس العربية، وتحديها من جديد للدولة المسخ، وأصبحت الدولة اليهودية إذا رفعت صوتها تتهدد العرب وتتوعدهم[١]، ويتلقف شعر الأمل هذا التحدي فيصوغه شعراً، بلسان الشاعر إبراهيم طوقان[٢] الذي نفخ روح المقاومة والجهاد فى نفوس مواطنيه في فلسطين، وقد أحس في سنة ١٩٢٨م، بما تسرب إلى الروح الوطنية العربية من وهن وتشاؤم، فأرسل هذه الصرخة المتفائلة [٣]:

كفكفْ دموعَكَ ليس يَنْ ـفَعُكَ البكاءُ ولا العويلُ

وانهضْ ولا تشكُ الزَّما نَ، فما شكا إلَّا الكسول

واسلكْ بهمّتك السَّبِيـ ـلَ، ولا تقلْ كيف السبيل

ماضلّ ذو أملٍ سعى يوماً وحكمتُه الدليل

يدعو الشاعر في هذه الأبيات إلى ترك الحزن جانباً، مؤكداً أن الدموع والعويل لن تغير شيئاً من

(١) ينظر: في شعر النكبة:٧٣.

(٢) إبراهيم طوقان: إبراهيم عبد الفتاح داود الأغا طوقان، ولد عام ١٩٠٥م، في نابلس، توفى سنو١٩٤١م، وترك ثلاث ودائع غالية، جعفر-وعريب، وديوان شعر، ينظر: إبراهيم طوقان حياته ودراسة فنية في شعره:١١-١٦.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة، إبراهيم طوقان:٦٢.

الواقع، ثم يوجه نداءً قوياً للنهوض باستخدام فعل الأمر(أنهض) الذي يريد به الأخبار، وعدم القاء اللوم على الزمن؛ لأن الشكوى صفة الضعفاء، ويواصل رسالته بالحث على السعي بكل همه وإصرار، ويختم الأبيات بحكمة مؤكداً أن من امتلك الأمل مسترشداً بعقلهِ وحكمتهِ، فإنه لن يضل الطريق أبداً.

أما الشاعر الذي هزم اليأس فلم يجد إلى قلبه سبيلاً ، فهو شاعر العودة هارون هاشم رشيد[١]، ذلك أننا نجد في دواوينه الأربعة (مع الغرباء - عودة الغرباء – غزة في خط النار - أرض الثورات) تلك الروح المتوهجة المؤمنة التي لا يعتريها يأس، ولا يتزعزع إيمانها. وعلى الرغم من أن الشاعر هارون هاشم رشيد عاش مع اللاجئين الغرباء تجارب كاملة في ديوانه الأول، فرأى بؤسهم وعريهم وجوعهم ، فإن روح التفاؤل والنضال لم تمت في شعره[٢]:

من الكهف والخيمة الباليه — سأجمع للثأر أشلائيه

سأجمع أهلي وأصحابيه — وأصرخ من عمق أعماقيه

وأرسلها صيحة داوية — وأدعو إلى الجولة الثانيه

تعكس هذه الأبيات روح المقاومة والتحدي، إذ صور حال اللاجئ الفلسطيني على الرغم من الفقر والشتات لا يزال متمسكاً بحقه ومستعداً للنضال حتى التحرير.

ومن شعر الأمل الذي ورد في شعر الشاعر سميح القاسم، ذكره لشخصية نبي الله يعقوب(ع)؛ لأن قضية النبي(ع) تمثل وطنه المحتل، وشخصية النبي يعقوب (ع). تمثل رمز لمعاناة المتشردين المعذبين بفراق وطنهم الحبيب، كما عانى النبي بفراق ابنه الحبيب يوسف(ع)، قال سميح القاسم[٣]:

من هذا الصخر ... من الصلصال
من هذي الأرض المنكوبة

(١) هارون هاشم رشيد: هو شاعر فلسطيني، ولد في حي الزيتون بمدينة غزة في عام ١٩٢٧م، وتوفي في عام ٢٠٠٠م، يعدّ من أبرز الشعراء الفلسطينيين الذين كتبوا عن قضية فلسطين وصراع الشعب الفلسطيني من أجل الحرية والاستقلال، ينظر: مع الغرباء:مقدمة الديوان:و-ه.

(٢) مع الغرباء:٢٩، وينظر:في شعر النكبة:٦٩-٧٠.

(٣) ديوان سميح القاسم:١٣٣.

يا طفلا يقتل يعقوبه
يَعْجِنُ خُبْزاً للأطفال
من ترمي في ليل الجب

ففي هذه الأبيات ذكر الشاعر قصة النبي يعقوب (ع) وابنه، التي ترمز إلى الأمل بتحرير الوطن من أيدي الأعداء المتلوثة بدماء الشهداء الفلسطينيين، مثلما قُرت عينا النبي يعقوب (ع) برؤية ابنه يوسف بعد تحمل آلام فراقه في عهد بعيد.

والشاعر محمود درويش يدرك أن الحكام العرب يقولون ما لا يفعلون، لذا لا بد له من النهوض من واقعه الأليم للدفاع عن نفسه وأهله ومدينته ومقدساته. وهذا ما جسّده سرحان، الشاب المقدسي، حيث أبرز الصلة العميقة بين بطله والقدس، معبّرًا عن ذلك على لسانه(١).

وما القُدْسُ والمُدنُ الضَّائِعَهُ
سوى ناقة تَمْتَطِيها البداوه
إلى السلطة الجائعة.
وما القُدْسُ والمُدنُ الضَّائِعة
سوى منبر للخطابة.

يُسلط درويش الضوء على الخط الفاصل بين القدس الغربية والقدس الشرقية، المعروف باسم خط الهدنة.

كانت مأساة فلسطين محور اهتمام معظم شعراء العالم العربي، منذ بداية النكبة، فكلما رثوا مآسي أمتهم، خصوا فلسطين بدموعهم الحارقة، ورفعوا أصواتهم محذرين الغافلين، داعين إلى الوعي والنهوض، فيقول الشاعر سميح القاسم(٢):

أنادي. وصاحبتي لا ترد.
تقولون ماتت وصاحبتي لا تموت.
هي الآن تحت الركام بقربي.
فيا ليتها سامعه صديقة عمري.
حبيبة روحي.

(١) ديوان محمود درويش:٤٥٦-٤٥٧.
(٢) عجائب قانا الجديدة(سربية):٦-٧.

ويا ليتها سامعه
لتنهضَ في صرختي ولتنهضَ
بي وبكم. وبتوقِ السماءِ
إلى نجمةٍ طالعه
على رحمةِ الخالقِ الواسعة..

يحمل الشاعر في أبياته مزيجاً من الحزن والأمل، وينادي بحزن؛ لكنه لا يسمع استجابة، فيرفض تصديق رحيل من يحب، ويصور مأساة وطنه وهو يئن تحت الركام؛ لكنه يرفض الاستسلام لفكرة زواله. ويوجه نداءً لأبناء بلاده لينهضوا معه، ويحاولوا الألم إلى قوة تدفعهم للنهوض من جديد. وفي النهاية، يرسَخ فكرة أن الفقدان ليس النهاية، بل بداية جديدة نحو مستقبل أكثر إشرافاً، في ظل رحمة الله وعدالته.

ويعبّر الشاعر عبد الخالق العف[1] عن حبه العميق للقدس بتوظيف مشاعره، ونفحات صدره، وضياء عينيه، وشريان حياته، مجسّدًا في أبياته شغفه بالقدس، إما عبر احتضان جراحها أو رفع رايات نصرها. وقد جاءت أبياته العذبة منسابة كالماء الرقراق، سهلة النطق، واضحة المعنى، لا تحتاج إلى عناء لفهمها، فتصل إلى القلب مباشرة بجمالها وروعتها[2].

سَأُنَظِّمُ فِي حَنايا القُدسِ آهاتي وَأَثرُ فِي مَآسِيهَا رِوَايَاتِي

وَأَسْكُنُ دَمعَتِي الحُرَّ بِمُقلَتِها لِتُلهِبَ جَمرَ صَخرَتِها حِكَايَاتِي

وَأَسكُبُ مِن شَرَايِينِي لِأُطفِئَهَا فَجُرحُ القُدسِ فَيضٌ مِن جِرَاحَاتِي

عَشِقتُ القُدسَ فَانثَالَت صَبَابَتُها بِأَشْوَاقِي لَهِيبًا مِن عَذَابَاتِي

....

(١) عبد الخالق العف: عبد الخالق محمد العف الفلسطيني ولد بغزة عام ١٩٦١م، حصل على شهادة الدكتوراه في الأدب، وعمل مستشاراً لوزير الثقافة الفلسطيني، ومن مؤلفاته(ديوان شدو الجراح، كتاب العروض والقافية، دراسات في اللغة العربية، دراسات في الأدب العربي)، ينظر: شدو الجراح: المقدمة.

(٢) شدو الجراح:٩٨.

سَأَصنَعُ مِن جُذُورِ الأَرضِ مِنسَاتِي وَأَنسِجُ مِن خُيُوطِ الرِّيحِ رَايَاتِي

وَتَدنُو الشَّمسُ مِن كَفِّي فَأَلمِسُها وَأَكتُبُ فَوقَ صَفحَتِهَا انتِصَارَاتِي

وَفَوقَ النَّجمِ أَكتُبُ سِفرَ مَلحَمَتِي نَشِيدَ النَّصرِ فِي أَرضِ الرِّسَالَاتِ

تجسد الأبيات حب الشاعر العميق للقدس واستعداده للتضحية من أجلها، حيث يعبر عن آلامه كجزء من معاناة المدينة. يربط جراحه بجراحها، ويجعل من مشاعره وأدبه وقودًا لإبقاء قضيتها حيّة. ثم ينتقل إلى التعبير عن عزيمته للنضال، متخيلًا نفسه يصنع من جذور الأرض سندًا، ومن الرياح رايات للنصر، وصولًا إلى لمس الشمس وكتابة الانتصارات على صفحات السماء والنجوم. في النهاية، يؤكد أن القدس ستبقى ساحة للبطولة، حيث يُكتب نشيد النصر في أرض الأنبياء والرسالات.

وتسأل الشاعرة فاديا غيبور[١](أكثر من سؤال) في قصيدتها[٢]:

كيف يحيا في دروب الفقر
وهج الأرغفة ؟
كيف تحيا الأغنيات الحب
في لون الدماء الراعفة؟
أسأل من مثلي تعثر بالدماء
والجواب يأتي في القصيدة نفسها :
كان الغزاة يطاردون الحب في وطني
وكان الأصدقاء
يساومون على دمي
جوع الذئاب

(١) غيبور: فاديا غيبور، شاعرة سورية، ولدت في سلمية في حماة عام ١٩٤٨م، وانتقلت إلى مدينة مصاف مع اسرتها ودرست في دار المعلمات وعملت معلمة، حصلت على إجازة بالآداب من كلية الآداب قسم اللغة العربية، في جامعة دمشق عام ١٩٧٣م، وشغلت منصب نائب رئيس اتحاد الكتاب العرب عام ٢٠٠٥م، ينظر: ديوان للمرأة لغة أخرى:المقدمة.

(٢) ديوان للمرأة لغة أخرى:١٣٧.

هذه الأبيات تحمل مشاعر الأسى والحيرة أمام قسوة الحياة، متسائلة كيف يمكن للأمل أن يستمر وسط الفقر والدماء، إذا كان الهمّ الوطني والقومي العروبي يشكّل لغة أخرى تعبّر بها الشاعرة، فإن ملامح جنوب لبنان، ومخيمات اللاجئين الفلسطينيين، والقدس، والسلام المقيد بأنصاف الحلول، والسجون، تتجسد في كلماتها. وهكذا، يصبح الأمل القادم هو الخلاص المنتظر، لكنه يُنتزع إلى المنفى، لا لأنه كان غزالًا، بل لأنه تجرأ على تحدي الشرخ العميق في خارطة العالم.

إن الشعراء والأدباء لهم دور رائد في يقظة الناس واستيقاظهم من نوم الغفلة وفتح عيونهم عما يسيطر عليهم وعلى أغلى ما لديهم؛ لأنهم كانوا يصرخون ويندون بأعمال الصهاينة الأعمال اللاإنسانية والوحشية، فالأمم العظيمة عندما تضل الطريق، ويتعذر عليها معرفة السبل للنجاة، تفتش عن أدباءها وشعرائها. ويأتي الأدباء والشعراء في مقدمة أبناء الأمة، تحسساً لمصائبها وهمومها[١].

أما الشاعرة ريما البرغوثي[٢]،فقد عبرت عن حزنها في قصيدتها، التي صورت فيها بكاء الغيوم لشتاتهم وتفرقهم، فتقول[٣]:

تَبْكِي غُيُومُ شَتَاتِنَا بِتُرَابِنَا فَيَثُورُ مِنْ جَوْفِ الصُّخُورِ لَظَى سَقَر

أَلَمْ يَصِيحْ بِمُهْجَتِي يَا أُمَّتِي وَالشُّؤْمُ بُرْكَانٌ بِأَرْجَائِي الْفَجَرْ

فِي كُلِّ عِيدٍ تُسْتَبَاحُ خِرَافُنَا وَمِنَ الضَّحَايَا كَبْشُ عِزٍّ يُخْتَضَرْ

مِنْ نَحْرِهِ سَالَتْ دِمَاءُ مُذِلَّةٍ يُرْوَى بِهَا عَارٌ جَدِيدٌ مُبْتَكَرْ

وَجَزِيرَتِي بَاتَتْ مَسَارِحَ لِلدُّمَى يَلْهُو بِطُهْرِ عِفَافِهَا نَجَسُ الْبَشَرْ

في هذه الأبيات عبرت الشاعرة عن الألم والمعاناة التي تعيشها الأمة نتيجة الشتات والاضطهاد، لكن من رحم تلك المعاناة يثور الغضب والمقاومة. وتنادي الشاعرة أمتها مستنكرة الصمت

(١) ينظر: ملامح المقاومة في شعر قيصر أمين بور وعز الدين المناصرة: ٣٢.

(٢) ريما البرغوثي: الشاعرة الفلسطينية من مواليد رام الله ١٩٩٦٤م، هاجرت إلى الأردن إثر احتلال فلسطين، بكلوريوس في اللغة العربية وآدابها، ينظر: ديوان رواد البيان من شعراء فلسطين والأردن ولبنان٤٧.

(٣) ديوان رواد البيان من شعراء فلسطين والأردن ولبنان: ٤٧.

والخضوع، مشبهة الواقع القاسي ببركان من الشؤم والدمار.

وتشير إلى رمزية الأضاحي التي تدل على التضحيات المستمرة، ويُستباح الضعفاء، ويُذبح الكبش الذي يمثل العزة والكرامة، بينما تسيل دماؤه مذلةً، لتروي عارًا جديدًا يضاف إلى سجل الانتهاكات، وفي النهاية، تصور جزيرتها، أي وطنها، وقد تحولت إلى مسرح للدمى، يعبث بها الغرباء (الاستعمار والاحتلال)، ويدنسون طهرها.

والشاعرة التي تبث روح التفاؤل بين ابناء الأمة رنا صالح الصدقة[١]، تقول في قصيدتها[٢]:

يَا صَرْخَةَ الْحُرِّ وَالْأَحْرَارِ مَأْمَلُنَا كُونِي الْإِمَامَ لَنَا وَالْحَائِرُونَ وَرَا

مِنْ قِبْلَةِ الْعِزِّ مَدُّوا الْحَبْلَ وَاعْتَصِمُوا وَالجَمْعُ سَيْلٌ رَأَى الْبُرْهَانَ فَانْحَدَرَا

تستنكر الشاعرة في هذه الأبيات الوضع الحزين في فلسطين، وتحث الأحرار في العالم على التوحد والدفاع عن القضية الفلسطينية. وتطالب بالتمسك بالقيم والمبادئ الإسلامية، وتؤكد أن النصر سيأتي عندما يتجمع الناس حول الحق والعدالة.

(١) رنا صالح الصدقة شاعرة سورية ولدت في مدينة النبك، في ريف دمشق، درست في المعهد الهندسي بجامعة دمشق، ينظر: فلسطين في عيون الشعراء:٢/٨٠.

(٢) فلسطين في عيون الشعراء: ٢/٨٠.

الخاتمة

ندرج فيما يأتي أهمَّ النتائج التي توصل إليها البحث، وهي:

- النكبة كانت بداية لمسار طويل من الألم والمقاومة، ولا تزال آثارها تنعكس على الواقع الفلسطيني حتى اليوم.
- أثرت النكبة بشكل عميق على الشعوب العربية، مما أدى إلى توحيدها في مواجهة الصهيونية والاستعمار.
- أدب النكبة عكس معاناة الفلسطينيين، مركزًا على الألم والفقد والتشريد.
- أما أدب المقاومة فركز على تقديم الأمل والتحفيز، فقد عبّر عن الصمود والمقاومة ضد الاحتلال، وحمل دعوات للنهوض والمقاومة.
- لعب الشعر دورًا حيويًا في توثيق الأحداث وحفز الوعي العربي والدولي حول القضية الفلسطينية. والشعر الفلسطيني بعد النكبة كان مفعمًا بالألم والحزن، معبرًا عن الضياع والفقد العاطفي. وتناول شعر المقاومة موضوعات التضحية والبطولة والإصرار على استعادة الحقوق المسلوبة.
- بقيت القصيدة الفلسطينية شاهدًا على التاريخ وصرخةً في وجه الظلم.
- استلهم الشعراء رموزًا دينية وتاريخية تعكس معاناة الشعب الفلسطيني وتؤكد حتمية التحرير.

المصادر

- إبراهيم طوقان حياته ودراسة فنية في شعره، د. محمد حسن عبد الله، اخراج: أحمد متولي، وأحمد جاسم، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للأبداع الشعري، ٢٠٠٢م.
- أدب المقاومة في فلسطين المحتلة ١٩٤٨-١٩٦٦، غسان كنفاني، منشورات الرمال، مؤسسة غسان كنفاني الثقافية، قبرص، بيروت ، ٢٠١٥م.
- أدب المقاومة من تفاؤل البدايات إلى خيبة النهايات، د.عادل الأسطة، الناشر مؤسسة فلسطين للثقافة، سورية، دمشق، ط٢، ١٤٢٩-٢٠٠٨م.
- أدب المقاومة، غالي شكري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- الأرض في شعر المقاومة الفلسطينية، محمد القاضي، منجي الشملي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨٢م.
- الأعمال الشعرية الكاملة، إبراهيم طوقان، تأليف إبراهيم طوقان، جمهورية مصر العربية، مدينة نصر، القاهرة.
- الاعمال الشعرية الكاملة، فدوى طوقان، المؤسسة العربية الدراسات والنشر، المركز الرئيسي: بيروت ، ساقية الحرير البناية مشرج الكارلتون، ط١، ١٩٩٣م.
- بين النكبة والمأساة، لبناني يتكلم، هنري أبو خاطر،دار النهار النشر، بيروت، ١٩٧٩م.
- ثقافة المقاومة في الآداب والفنون، صالح أبو أصبع، منشورات جامعة فيلادلفها ، مطبعة الخط العربي، ٢٠٠٥م.
- الجسد في شعر محمود درويش الأيروس والتاناتوس، نصر علي سامي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان - وسط البلد - مجمع الفحيص التجاري، ط١، ٢٠١٥م ١٤٣٦هـ.
- ديوان رواد البيان من شعراء فلسطين والأردن ولبنان، إعداد وتقديم، براء الشامي، جميع الحقوق محفوظة، للمُؤلِّف، ط١، ٢٠١٩ م.
- ديوان سميح القاسم، سميح القاسم، بيروت: دار العودة، ١٩٨٧م.
- ديوان للمرأة لغة أخرى، فاديا غيبور، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٣م.
- ديوان محمود درويش دار العودة، بيروت، ط ١٤، ١٩٩٤م.
- شاعر الأرض المحتلة، محمود درويش، رجاء النقاش، ط١، دار الهلال.

- شدو الجراح : أ.د. عبد الخالق العف، فلسطين، ٢٠٠٣م.
- عبد الكريم الكرمي أبو سلمى، حسني محمد العطار، مؤسسة نافذ للبحث والطباعة والنشر، ط١، ١٤٤٣-٢٠٢٢م.
- عجائب قانا الجديدة(سربية)، سميح القاسم، منشورات إضاءات، الحكيم للطباعة والنشر م. ض. الناصرة، ٢٠٠٦م.
- الفرح ليس مهنتي، محمد الماغوط، دار المدى للثقافة والنشر،٢٠٠٦م.
- فلسطين في عيون الشعراء، براء الشامي، النخبة للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، جميع الحقوق محفوظة للمؤلف، ط٢، ٢٠٢٢ م.
- في القدس شعر، تميم البرغوثي، مكتبة الرمحي أحمد الكتاب ٥٢، دار الشروق.
- في شعر النكبة، بحث تخطيطي في أصداء نكبة فلسطين في الشعر العربي المعاصر، د. صالح الاشتر، دمشق،١٣٧٩ه_ ١٩٦٠م.
- قصائد ليست محدّدة الإقامة، سالم جبران، بيروت: منشورات دار الآداب، ١٩٧٠م.
- كلمات من القلب، سالم جبران، عكا، مطبعة دار القبس العربي.
- مأساة النكبة التي انتجت ادبا مرموقا، سلمان الرشيد، المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات ملف، سلسلة كراسات ملف، العدد٤٩، ٣١ أيار /مايو، ٢٠٢٢م.
- محمود درويش حياته وأشعاره، د.عبيدة خليل الشلبي، إمران أرطغرل، شمس للنشر والدراسات، المانيا، ط١، ٢٠٢٤م.
- المشرد، أبو سلمى، دمشق، ١٩٦٣م.
- مع الغرباء، هارون هاشم رشيد-شاعر فلسطين القومي، رابطة الأدب الحديث بالقاهرة، المطبعة المنيرية بالقاهرة، ط١، ١٩٥٤م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إخراج: د.إبراهيم أنيس، د.عبد الحليم منتصر، د.عطية الصوالحي، د. محمد خلف الله أحمد، أشراف: حسن علي عطية، محمد شوقي آمين، ط٢٢.
- معنى النكبة مجدداً، قسطنطين زريق، دار العلم للملايين،بيروت،ط١، ١٩٦٧م.
- معنى النكبة، قسطنطين زريق، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٤٨م.
- ملامح المقاومة في شعر قيصر أمين بور وعز الدين المناصرة»، معروف، يحيى و رضا كياني مجلة العلوم الإنسانية الدولية، عدد ١٩.(١٤٣٣ ه. ق / ٢٠١٢م).
- ملامح في الأدب المقاوم(فلسطين أنموذجاً) دراسة، أ . د . حسين جمعة، منشورات الهيئة

العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة – دمشق ٢٠٠٩.

- الملحق ب لسان العرب المصطلحات العلمية والفنية، ابن منظور، اعداد: مصطفى خياط، ونديم مرعشلي، دار الحوزة.

- ورد أكثر مختارات شعرية ونثرية، محمود درويش، اختيار وتقديم : فيصل دراج، الناشر:وزارة الثقافة والفنون والتراث - دولة قطر،٢٠١٢م.

الدوريات:

- ظاهرة اللون في شعر تميم البرغوثي، ديوان (في القدس) انموذجاً دراسة دلالية، أحمد مرزوق ناصر الشرعة، المجلة العلمية بكلية الآداب، العدد٥٨، يناير، ٢٠٢٥م.